مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 8 / العـدد: 01 (2020)، ص: 759-769

الغرب ، العالم الإسلامي : من الاستشراق التقليدي إلى الاستشراق المعاصر

The Occident and The Islamic World: From Traditional Orientalism to Contemporary Orientalism

د.صافي الطاهر[1]
[1]جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)، t.safi@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/05 تاريخ القبول: 2022/03/31 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

يحيل البحث في الإستشراق إلى إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر وهي العلاقة التي اتسمت في الغالب بالتّوتر والصراع إما على أساس ديني وإيديولوجي وإما على أساس مادي اقتصادي .ولعل علاقة الجدل هذه هي التي كشفت عن نوع جديد من الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق من أجل إحكام القبضة عليه عرف بالإستشراق . والذي استطاع بما يوفره من معرفة أن يتغلغل أكثر في حياة الشرقيين فارضا نفسه كأنموذج معرفي لا يرقى إليه الشك ، ومقدما صورا نمطية عن المجتمعات الشرقية ، ضلت هي الصور المهيمنة على المخيال الشرقي والغربي معا حتى أواخر القرن العشرين مع بروز بعض الدراسات التي تمكنت من دحض المعرفة الإستشراقية و بيان تهافتها. و هو ما حمل المشتغلون بالثقافة الشرقية على محاولة ضخ دماء جديدة في دراساتهم القديمة.

كلمات مفتاحية: الغرب ، الشرق ، الإستشراق ، الإستشراق التقليدي ، الإستشراق المعاصر، الهيمنة .

Abstract:

The study of Orientalism refers to the problematic of the relationship between the ego and the other, which is often characterized by tension and conflict, either by a religious or ideological basis or by a material's one . this controversial relationship is the one that revealed a new type of Western studies related to the East in order to tighten its grip on it . which, with the knowledge it provides, has been able to penetrate more into the life of orientals , imposing itself as an undisputable cognitive model, and presenting stereotypes about eastern societies. They were the dominant images of both the eastern and western imaginations until the end of the twentieth century, with the emergence of some studies that were able to refute Orientalist knowledge.and this is what promoted the orientalists to try to renew their old studies .

Keywords: orient, Orientalism , classic Orientalism , modern Orientalism , Domination .

المؤلف المرسل: صافي الطاهر،

1. مقدمة:

لقد ظهر اهتمام الآخر بالثقافة الشرقية و خاصة العربية والإسلامية في نهاية القرن الثامن عشر إلى بدايات القرن التاسع عشر رغم جذوره القديمة التي قد تعود إلى مرحلة الحروب الصليبية. بل و عادة ما يؤرخ له بحملة نابوليون على مصر (1798- 1801) و والتي لم تكن حملة عسكرية في جوهرها بقدر ما كانت حملة علمية و معرفية، لأنها كانت مزودة بعديد الباحثين و في شتى التخصصات، فكان هنا لقاء إرادي بين غرب جامح الطموح، و شرق مستسلم لتخلفه، غرب يريد أن يكتشف عبقريته في الآخر، و آخر مشدود إلى الوراء و قانع بذلك على أساس (لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح أولها).

فقد دشن عصر النهضة و التنوير و بعد ذلك الثّورة الصناعية طرائق جديدة في تناول الشرق العربي الإسلامي، ليس فقط من أجل توظيف الآليات و المناهج العلمية الجديدة في دراسة الآخر المختلف، بل كذلك من أجل إبراز مدى التفوق الحضاري للغرب على حساب حضارة الآخر. فإذا كان العقل الغربي قد انتصر في العصر الحديث للإستشراق و اقتحام ثقافة الشرق فإن سؤال الغاية يطرح بقوة على العقل الإستشراقي إذ لماذا اندفع بكل قوته لثقافة شرقية مغايرة ؟ و هل من مسؤولية للشرقيين عن استشراقه؟ وكيف تمكن من تغيير لونه راهنا؟

2. الإستشراق : قراءة في المفهوم

لعل من الوظائف الأساسية للفلسفة إن لم تكن وظيفتها الرئيسة هي إبداع المفاهيم، كما عبر عن ذلك (جيل دولوز) وانطلاقا من هذا كان لتحديد المصطلحات أهمية قصوى لتوضيح المعاني و تمييز بعضها عن بعض، فارتأينا الوقوف عند مصطلح الإستشراق.

1.2 الإستشراق لغة:

إن لفظ الإستشراق في اللغة مأخوذ من كلمة شرق. وقد جاء في لسان العرب بأن هذه الكلمة تقال على الموضع الذي تشرق منه الشمس أو المكان الذي تشرق فيه[1]، (إبن منضور: لسان العرب ، 1997، ص 425) .

وفي اللغة الأجنبية كلمة orientalism مأخودة كذلك من لفظ orient أي الشرق أو المشرق، كما تقال عند جعل وجه الشيئ نحو الشرق والمستشرق orientalist هو المتضلع في اللغات الشرقية أو من تطبع بأخلاق الشرقيين[2]. (القاموس العصري (إنجليزي عربي) 1988 ص 528) .

2.2 الإستشراق إصطلاحا :

كثيرا ما يختلف الباحثون حول المراد من مصطلح الاستشراق ، و تأخذ تعاريفهم اتجاهات متباينة تبعا لمواقفهم إزاءه. لذلك تتعدد تعريفاته بتعدد ما يرمي إليه، فالمستشرقون اصطلاح يشمل طوائف متعددة من الكتاب والمفكرين يعملون في مجالات الدراسات الشرقية ، كالعلوم، و الفنون ، والديانات ، والاداب ، والتاريخ ، وما يخص شعوب الشرق عموما[3]. (عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، 1980 م ص 9) بمعنى أن كل من يتولى الكتابة و الاهتمام بالحضارة الإسلامية من الغرب فهو في خانة المستشرقين.

وانطلاقا من هذا فالاستشراق ما هو إلا علم العالم الشرقي، و هو ذو معنيين: معنى عام يطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه و أدناه، في لغاته و آدابه و حضارته و أديانه، ومعنى خاص و هو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و تاريخه و عقائده[4].(محمد حمدي زقزوق : الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص 18) .

ولذلك اعتبره المستشرق البريطاني (بيرنارد لويس)B.lewis عبارة عن الدراسات الغربية المتركزة على الشرق ، والتي تعود بجذورها الأولى إلى العصور الوسطى أي إلى المحاولات الأولى التي قامت بها أوروبا المسيحية من أجل تعلم العربية وفهم الإسلام[5].(برنار لويس : حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط ضمن كتاب الإستشراق بين دعاته ومعارضيه تر وإعداد: هاشم صالح 1994 ص 131) .

---

1 ـ إبن منضور: لسان العرب الجزء الثالث دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط1، سنة 1997، ص425

2 ـ القاموس العصري (إنجليزي عربي) دار إلياس العصرية للطباعة والنشر القاهرة مصر ط 29 سنة 1988 ص 528

3 ـ عفاف صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دارالنهضة العربية ، القاهرة مصر 1980م ص9

4 ـ محمد حمدي زقزوق: الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف القاهرة مصر ، ص 18

5 ـ برنار لويس : حالة الدراسات المتعلقة بالشق الأوسط ضمن كتاب الإستشراق بين دعاته ومعارضيه تر وإعداد: هاشم صالح دار الساقي بيروت ط1 سنة 1994 ص 131

كما اعتبره البعض الآخر أيضا أسلوبا غربيا لفهم الشرق و السيطرة عليه و محاولة إعادة توجيهه و التحكم فيه[6]. (إدوارد سعيد: الاستشراق: المعرفة .السلطة . الإنشاء ت كمال أبو ديب ، 2003 ص39)

وإذا استقرأنا أهم التعاريف نجدها لا تخرج عن إطار علاقة التعرف أو التسلط. فمن جهة هو آلية لمعرفة الشرق و الإحاطة بعلومه و معارفه وثقافته عموما، و من جهة أخرى هو آلية للهيمنة و السيطرة، و قد استغل الجانب الأول في خدمة الثاني، أي ارتبطت المعرفة بالسلطة أو القوة، و هو ما يجعل من الاستشراق ككل مجرد صناعة غربية أنتجت مجالا جغرافيا و ثقافيا متميزا، و بالتالي أنتجت الآخر المختلف. و يكون التعامل بعد ذلك مع هذا الآخر كموضوع للسيطرة أو كعدو و مصدر للخوف. و هي الرؤية التي طبعت الفكر الأوربي الحديث و المعاصر[7]. (محمد عابد الجابري و آخرون: الإسلام و الغرب، (الأنا و الآخر)، ، 2009، ص 25) .

والاستشراق في سيرورته التاريخية هو تجل باستمرار لهذه الرؤية، إنه خطاب الغرب موجه إلى الشرق، و خطاب الآخر موجه إلينا باعتبارنا "غير" بالنسبة إليه، و فيه تبرز لا محالة علاقته بنا، و علاقتنا به، و هي علاقة تعبر عن عدم تكافؤ الطرفين، فهو الدارس و نحن المدروسون. ذات دارسة وموضوع دراسة، توجه من الأعلى إلى الأسفل، بل أن هذا الأسفل يمثل صورة نمطية غير قابلة للتغير. و ربما هذا ما يشير إليه (ماكسيم رودنسون). حينما رأى" بأن الاستشراق هو رغبة الغرب في توسيع فلسفته الإنسية لعصر النهضة، و ذلك بإضافة نماذج جديدة شرقية"[8] . (ماكسيم رودنسون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ترجمة و إعداد هاشم صالح ، ص 86).

و الذي أحدث هذا المنعطف التاريخي في رأيه هو ميل ميزان القوة لصالح الغرب، إذ ظهر لأول مرة غرب متفوق، وفي آن واحد يريد أن يتجاوز ذاته العالمية اتي أقرها الأنموذج الإغريقي و الروماني و كرسها كصورة مثالية منمطة إلى الانتصار لخصوصيات ثقافية أخرى[9]،(ماكسيم رودنسون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ترجمة و إعداد هاشم صالح ، ص 86).

و هذا لا يعني أن الشرق لم يكن مدروسا من قبل، و لكنه كان يدرس تحت غطاء إيديولوجي في ظل الصراع المعروف بين المسيحية و الإسلام. لأن الإسلام بالنسبة للمسيحيين القروسطيين يمثل تكتلا سياسيا و عقائديا معاديا[10]. (ماكسيم رودنسون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ترجمة و إعداد هاشم صالح، ، ص 87).

وإذا جارينا هذا الطرح، و سلمنا برغبة الغرب في الإقرار بخصوصيات ثقافية جديدة، فإن هذا لا ينزع عن الاستشراق ميزته السلطوية التي مارست قوتها بأساليب مختلفة. إن على المستوى الديني، السياسي، العسكري، أو العلمي، إذ عبر كل هذه الدوافع التي كانت تغذي الاستشراق، يبرز المستشرق المنتصر لدينه و لسياسته و لعلمه و ثقافته الغربية، و قد عبرت هذه الفكرة عن نفسها عبر مراحل الاستشراق التاريخية "فاتخذت صورة التبشير الديني تارة، و صورة التمثيل التصويري (تصوير الشرق) تارة أخرى، و صورة الاستعمار المباشر تارة ثالثة"[11]. (صلاح الجابري، تفكيك الاستشراق، 2005 ، ص 11).

من هنا فالإستشراق يمكن وضعه داخل مفاهيم و مواصفات بإعتباره نظاما أكاديميا لدراسة وفهم الشرق ، أو نمطا من التفكير قائما على التمييز بين الشرق والغرب ، شرق مخترع وغرب يرى نفسه فيه كقوة حضارية وعلمية . وباعتباره أيضا مؤسسة تعنى بمعرفة هذه الجغرافيا المترامية الأطراف من أجل فهمها والسيطرة عليها . وهذه المفاهيم مرتبطة ببعضها لأنّ حقيقة القوة و الرغبة في الهيمنة ماثلة في هذا المنجز الثقافي الغربي عن الشرق .

---

6 ـ إدوارد سعيد: الاستشراق: المعرفة .السلطة .الإنشاء ت كمال أبوديب مؤسسة الأبحات العربية بيروت لبنان ط6 سنة2003 ص39.

7 ـ محمد عابد الجابري و آخرون: الإسلام و الغرب، (الأنا و الآخر)، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2009، ص 25.

8 ـ ماكسيم رودنسون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ترجمة و إعداد هاشم صالح، مرجع سابق، ص 86.

9 ـ ماكسيم رودنسون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ترجمة و إعداد هاشم صالح، مرجع سابق، ص 86

10 ـ المرجع نفسه، ص 87.

11 ـ صلاح الجابري، تفكيك الاستراق، المركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي، ليبيا، ط1 سنة 2005، ص 11.

3. الإستشراق التقليدي :

لقد جاء الاستشراق ليؤسس لهذا التوجه الغربي نحو الشرق. و ما شهدته أوروبا على الخصوص في القرن التاسع عشر بسبب تصاعد حملات التنقيب الآثاري في الشرق لظهور الثورة المعرفية في علوم الإنسان، هو أكيد خدمة لهذا التوجه. بل تجدر الإشارة هنا إلى أن "التنقيبات الآثارية في الوديان و الأنهار العظيمة الدافئة (كالرافدين و النيل والسند)، إضافة إلى فك رموز الكتابات المسمارية و الهيروغليفية و السنسكريتية القديمة، راحت تلقي الضوء لأول مرة على ثقافات معقدة غائرة في القدم؛ الأمر الذي شد الخيال الاستشراقي و استنفار عدد كبير من العقول الأوربية الذكية على سبيل استكشاف هذه القارات الدفينة تحت الرمال"[12].(محمد الدعمي: الاستشراق-الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ص 53) .

و رغم أن هذه التنقيبات قد جعلت العقل الغربي يكشف لأول مرة وجود ثقافات أخرى خارج أسوار ثقافته، إلا أنه مع ذلك وفي شقه الكبير يبقى محافظا على إصراره بتفوق ثقافته و مركزيتها، وفي المقابل هامشية الثقافات الأخرى. و يمكننا رصد ذلك إبان النهضة الاستشراقية التي ظهرت على الخصوص مع الثورة الصناعية، حيث عرفت أوروبا حملة واسعة من أجل إعادة اكتشاف الشرق، سكانه و أديانه و تراثه، موجهة توجيها أساسيا بمنظومة علمية و منهجية جديدة[13].(محمد الدعمي: الاستشراق- الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ، ص 109).

فمنذ الاهتزازات الكبرى التي تعرض لها سؤال المعرفة في مجال علوم الإنسان، أصبح العقل الإستشراقي مدفوعا بالبحث عن الإشباع المعرفي، واقتحام مجالات جديدة، خاصة و أن الشرق بدا أكثر ثراء و إغراء من نواحي عديدة، لكل المتعطشين للمعرفة و للمغامرين و لذوي المصالح المختلفة. وبناء على هذا تنوع الاستشراق في البنى التي عالجها، فلم يكتف بمعالجات الآثار أو البحث عن الأسرار بل تعدى ذلك إلى تخويل دوائره صلاحية مدهشة و هي إعادة صياغة التراث. "وبسبب من هذه التصورات انحرف الاستشراق إلى بيان فضل أقوام على أقوام، و أديان على أديان، و مذاهب على مذاهب..."[14]. (عبد الأمير الأعسم: دراسات في الاستشراق ، 2011 ، ص 72).

من هنا فقلق السؤال الفلسفي يدفعنا منذ البداية إلى ممارسة فعل التفكيك انطلاقا من مقارباته المفهومية، حتى نتجاوز التعامل التاريخي و الإديولوجي و ننخرط في الأبستيمولوجي الذي من شأنه تعرية طروحات الاستشراق المكرسة للهيمنة و المركزية.

وربما الذي يمنح هذا التفكيك شرعيته العلمية أكثر هو توظيف حقول العلوم الإنسانية في الغرب في خدمة الإمبريالية الأمر الذي يساهم في خلق الانطباع لدى الإنسان المسلم بارتباط الاستشراق هو الآخر بالبعد الإيديولوجي و مجانبتة للحقيقة والموضوعية[15]. (صلاح الجابري، تفكيك الاستراق، ص 11).

فإذا كانت النظرة إلى الآخر تتحدد بنسبة كبيرة بالنظرة إلى الذات أو كما عبر عن ذلك هيجل بأنّ الآخر ضروري لوعي الذات لأنها لا تعي ذاتها إلاّ بمقدار ما تعي الآخر. فإنّ الإستشراق من هذا المنظور ، هو محاولة الآخر الوعي بذاته من خلال وعيه بالآخر ، وكأن المعرفة بالشرق هي مساهمة في حصول المعرفة بالغرب . إذ لولا هذا الشرق الذي يوصف ويتخيل و يرسم ويتحدد بحسب أنماطهم الثقافية ، لما كان الإدراك بعظمة الذات .

1.3 العقل الغربي يكتشف ذاته من خلال الاستشراق:

المعلوم أن الفلسفات الذاتية التي جاءت بعد التنوير و التحولات الكبرى التي عرفتها العلوم الإنسانية كالتاريخ و الأنثروبولوجيا قد ساهمت في تغيير المنهجية الاستشراقية و بدلت آلية قراءة نصوصه، و من ثم لا يمكن نقد الاستشراق من

12 - محمد الدعمي: الاستشراق-الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 53.

13 ـ المرجع نفسه ، ص 109.

14 ـ عبد الأمير الأعسم: دراسات في الاستشراق، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص 72.

15- صلاح الجابري، تفكيك الاستراق، مرجع سابق ص 11

دون التسلح بآليات هذه العلوم، خاصة و أن الفكر العربي الإسلامي لم يعط أهمية لهذه الآليات إلا في السنوات الأخيرة في ظل اشتداد التبعية الفكرية و هيمنة ثقافة الآخر، و إذا كان ما هو ثابت في الفكر الغربي عامة هو ذلك الجدل المعرفي الكبير بين العقل (raison) و المنهج (méthode)، فالعقل الغربي أساسه الثورة الميثودولوجية، و تداخل العقل و المنهج يمثل قاعدة الحداثة الفلسفية الغربية.و من هنا فالاعتماد على هذه الثورة المعرفية يعد ثابتا أبستيمولوجيا لا محيد عنه من أجل فهم الظاهرة الاستشراقية و تفكيك عناصرها. و انطلاقا من هذا فأساسيات هذه الثورة المعرفية خاصة ما تعلق منها بالفلسفة و العلوم الإنسانية تعد مشارب رئيسية يتغذى منها الاستشراق. إن لم يكن الاستشراق "ما هو إلا تعبير عن تخارج الثقافة الغربية، فإذا كان تسلط الثقافة يرسم صورة الثقافة الغربية في الداخل، فإن تسلط الاستشراق يرسم صورة تلك الثقافة في الخارج"[16] (صلاح الجابري، تفكيك الاستراق، ، ص 11).

و كأن الثقافة الغربية قائمة على أساس عدائي لكل ما هو خارجها، لذلك مارست عملية الإلغاء و الإقصاء، و أحاطت نفسها بصروح التفوق، و الفوقية العرقية، و المركزية، و كل تحصن خارج هذه الصروح يعد شذوذا، لذلك ينكر الفكر الغربي في عمومه إنجازات الآخر و حضارته، مدعيا بأن الحضارة الأوربية هي شأن أوربي خالص، وهي وريث الحضارة اليونانية، بينما الحضارة الإسلامية ما هي إلا السلك الناقل، و الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية ناطقة بالعربية كما يدعي (أرنست رينان).

كما حاولت الكثير من المدارس الفكرية الغربية العثور على مبررات التمايز الثقافي و العرقي بين الشعوب لتأكيد تفوق الإنسان الأوربي، فالعقلانية التي أقامت المعرفة عل أساس العقل، و التجريبية التي أقامتها على أساس التجربة، و الكانطية التي وحدت بينهما، هي مدارس تهمل الجانب العرفاني الروحي في المعرفة، لأنه جانب شرقي من خارج الثقافة الغربية، فالعقل الأوربي إذن يحصر قنوات المعرفة في العقل و التجربة ويستبعد ما أكده الشرقيون من عناصر روحية. وفي ظل كل هذا جاءت وضعانية القرن 19 لتؤكد بأن عصرنا هو عصر العلم و التفسيرات الوضعية العلمية. أما التفسيرات الغيبية الروحية و الميثافيزيقية فولى عهدها.

و هذا "هيجل (1770-1831) في كتابه محاضرات في فلسفة التاريخ يسوغ للمجتمع المدني التمدد في الخارج أي في مجتمعات أخرى لتجاوز مشكلاته خاصة ما تعلق منها بالمشكلات الاقتصادية من أجل ضمان توازنه الداخلي[17]. (سالم يفوت: حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي ، 1989، ص 17) .

و من هذه الزاوية يصبح الاستعمار بدوره وسيلة فعالة لتحقيق توازن المجتمع المدني، فهو سيتخلص من الكثير من مشاكلهالداخلية عن طريق تصديرها إلى الشعوب المستعمرة، و بمعنى ما فإنه سيسمح له أن يبدأ في الخارج من جديد وجودا أصبح مستحيلا في الداخل[18]. (صلاح الجابري، تفكيك الاستشراق، ص 15).

و حتى كارل ماركس الذي يتعاطف معه الكثير من مفكرينا جعل من الاستعمار حلا لتناقضات المجتمع الغربي الرأسمالي، و ليس حلا للتناقضات الداخلية فقط، بل حلا لتخلف مجتمعات العالم الثالث. فالأمم الصغيرة المستضعفة عاجزة عن توفير الإطار التاريخي الكافي للتطور الرأسمالي بنفسها، لذا لابد أن يفرض عليها ذلك الإطار من الخارج، فثورة الأمير عبد القادر الجزائري مثلا ضد الاستعمار الفرنسي من منظور (أنجلز) تعد مجرد صراعا يائسا يعكس الحالة البربرية للمجتمع، و لذلك فالاستعمار يعبر عن حتمية سير الحضارة و تقدمها[19]. (سالم يفوت : حفريات الاستشراق ، ص17) .

و هذه أيضا النظرية التطورية التي تزعم بأن الصراع هو قانون الطبيعة و هو الذي يحكم العلاقات بين الكائنات الحية، و هذا الصراع لا يظفر به إلا الأقوى و الأصلح، و من ثمة فالغرب هو صاحب القوة الذي يجوز له إخضاع الضعفاء لسلطته،

---

[16]- المرجع نفسه ص 11

[17] - سالم يفوت: حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989، ص 17.

[18] - انظر: صلاح الجابري، مرجع سابق، ص 15.

19- انظر: سالم يفوت:حفريات الاستشراق مرجع سابق، ص17

و من الطبيعي كذلك أن تزيل الحضارة القوية (الغربية) الحضارات الأخرى الضعيفة، و أن تذوب الأطراف في المركز، و لعل العولمة التي فاضت عن حضارة المركز و التي نعيشها اليوم تدخل في هذا الإطار[20]. (محمد عمارة ، الإسلام و الآخر ، سنة 2004 ، ص 88) .

وإذا كان هذا حال الاستشراق التقليدي بتوجهاته التسلطية و بطروحاته السالبة للاخر المختلف، فما هو حال الاستشراق المعاصر، و ما هي اهتماماته؟

4. الاستشراق المعاصر و استمرارية التنميط:

رغم أن الاستشراق التقليدي قد بدأ كحركة معرفية في ظاهره، إلا أنه في جوهره كان حركة تهدف إلى السيطرة و الهيمنة على الآخر، انطلاقا من المعرفة به، و من ثم فالشرق أصبح ضرورة يقتضيها وجود الغرب .و ثقافته أصبحت لا يمكن الاستغناء عنها، لأنه – أي الغرب – أصبح يرى في مرآة الشرق لا الشرق نفسه، بل صورة معرفته عنه[21] .

(نذير العظمة: مجلة بونة للبحوث و الدراسات، ، العدد الثالث ، 2005، ص 47).

و على هذا الأساس تكونت لدى الغرب عموما صورة نمطية عن الشرق و عن العرب و الإسلام، و ما زال ربما إلى اليوم الغرب المعاصر يتعامل وفقها مع العالم العربي و الإسلامي، إلا أن تطور الفكر الغربي حاليا سواء على المستوى المادي – علوم الطبيعة – أو على المستوى الإنساني – علوم الإنسان، قد أثار أزمة كبيرة في ساحة الاستشراق، و خاصة تطور هذه الأخيرة بمنهجياتها و مصطلحاتها الجديدة التي شكلت انقلابا معرفيا[22].(محمد أركون و آخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ص 52).

و مصدر الأزمة كما يعتقد (ماكسيم رودنسون)، المستشرق الفرنسي الكبير، يتأتى من أزمة العقلية المركزية الأوربية، ودخول المتخصصين الذين ينتمون إلى البلاد المدروسة إلى ساحة البحث العلمي لأول مرة[23].

(محمد أركون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، ، ص 52) . بحيث أصبح التراث الاستشراقي تحت تأثير فورة الاستقلال والنزعة القومية محل شك و رفض في غالبيته، و هو ما يتطلب مراجعة نفسه. و هذا بالفعل ما حدث؛ إذ بعد الحرب العالمية الثانية، و مع استقلال بلدان الشرق، "أصبح لزاما على (الاستشراق) أن يعيد النظر في تجديد هويته مجددا. وهنا ظهر المستعربونarabists فهؤلاء هم المعنيون بالدراسات العربية، و ليس من ضرورات عملهم معرفة كل ما يتصل بالشرق[24].

(عبد الأمير الأعسم، دراسات في الاستشراق ، ص 76).

و هو ما يعني أن الاستشراق وجد نفسه مضطرا لتغيير اسمه على الأقل، لمحاولة كسب أبناء الشرق الذين بدأوا يقتحمون ساحته، وهم مسلحون أيضا بالكثير من الآليات و المناهج التي طرحتها ثورة العلوم الإنسانية. هذا فضلا على أن دافع الاتجاه نحو التخصص أصبح يفرض نفسه على الكثير من المستشرقين فأصبح من أبرز خصائص عمل هؤلاء الباحثين الجدد هو الانكفاء على التخصص الضيق في الدراسات الشرقية[25]. (عبد الأمير الأعسم ، دراسات في الاستشراق ، ص 76).

فقد طرح المؤتمر الدولي للمستشرقين سنة 1986 جملة من المباحث المتخصصة في حقل الدراسات الاستشراقية و هي:

- الفن و الآثار القديمة . - الدراسات البوذية. - دراسات متعلقة بمركز آسيا.
- الـشرق المـسيحي. - الدراسات الإيرانية. – الدراســات الإسلاميــة.

20- انظر: محمد عمارة، الإسلام و الآخر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، سنة 2004، ص 88.

21 ـ نذير العظمة: مجلة بونة للبحوث و الدراسات، تصدر عن مؤسسة بونه للبحوث و الدراسات، عنابة، الجزائر، العدد الثالث، سنة 2005، ص 47.

22 ـ محمد أركون و آخرون: الاستشراق بين دعاته و معارضيه، مرجع سابق، ص 52.

23 ـ المرجع نفسه، ص 52.

24 ـ عبد الأمير الأعسم دراسات في الاستشراق، مرجع سابق، ص 76.

25 ـ المرجع نفسه ص 76.

- الشرق الأدنى و شمال إفريقيا. - الدراسات السامية و الشرق الأدنى القديم. - جنوب آسيا.
- جنوب شرقي آسيا و المحيط. - الطب الأسيوي التقليدي . - علم التركيات"[26] (عبد الامير الاعسم دراسات في الاستشراق ، ص 77) .

و من خلال هذه التخصصات البحثية المقترحة نلاحظ أن ما يتعلق بالعالم العربي أصبح ضمن الدراسات الإسلامية، و ما يتعلق بشمال إفريقيا أصبح مبحثا مستقلا بذاته.

ويطرح لنا هذا التوجه الجديد في الاستشراق المعاصر مدى العناية المستمرة للغرب بالعالم العربي الإسلامي، وفي آن واحد استمرارية الحماية و التدخل في شؤونه، من دون أن يعني ذلك كما قصد (ماكسيم رودنسون) بأننا "نشهد أزمة بالنسبة للاستراق"[27]. (محمد أركون و آخرون، الإستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ص 92). لأن الأزمة هنا مرتبطة بمحاولة التخلي عن مباحث تقليدية و مناهج كلاسيكية لكن على مستوى الأهداف، فالخط الرابط بين الاستشراق التقليدي و المعاصر غير منقطع، لأن هناك محافظة على نفس المرامي للاستشراق التقليدي، فتم تجاوز ربما بعض الأهداف التي كانت موجها أساسيا في البداية كالتبشير و التنصير، لكن دوافع الهيمنة و الاستعلاء و التمركز، بقيت محركا أساسيا.

ويبدو هذا جليا في بروز عوامل جديدة تحكم علاقة الغرب بالشرق أو الاستشراق المعاصر، و هي: النظام الاقتصادي الجديد القائم على عولمة اقتصاد السوق، "ووعود بالتحديث للقوى السياسية المسيطرة على بلدان العالم الثالث المنتجة لمصادر الطاقة، و المحافظة على ديمومة الشعور بالأزمة و ظلامية المستقبل[28] . (صلاح الجابري ، تفكيك الاستشراق ، ص 91) .

و هو الأمر الذي يبقي هذه البلدان دوما لا تعرف الاستقرار و الأمن إلا بلجوئها إلى الغرب و بالتالي العمل وفق مصالحه، و أهدافه، بحجة المصلحة المشتركة، و قد كان هذا التوجه الاقتصادي هو بديل التوجه الكنسي أو التنصيري الذي كان هدفا في الاستشراق التقليدي. و هو ما يولد الاعتقاد بأن هناك استمرارية للعصر الكولونيالي"[29].
(Chemseddine Chitour: l'occident à la conquete du monde, p. 435)

لكن هذه المرة بصورة غير جلية بحيث إذا نظرنا إلى الواقع المؤسساتي سواء منها الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية و الثقافية، نجد معظمها فاشل، بحكم عدم الارتكاز على مشاريع ذاتية، و تبني أطروحات غربية غير نابعة من عمق ثقافة المجتمعات الشرقية، فضلا عن التدخل المباشر و اللامباشر الذي يمارسه الغرب على هذه المؤسسات، و خلق نخب مستلبة ثقافيا و تبوئتها في الغالب على رأس هذه المؤسسات، أو جعلها قادرة على النفاذ، و لها من الفعالية ما يجعلها مؤثرة في كامل المجتمع.

وهذا ما يفسر في اعتقادي اليوم عدم الاستقرار الذي يطبع المجتمعات العربية الإسلامية، و انتشار بؤر الفساد و مظاهر التخلف رغم أن هذه المجتمعات تنام على كم هائل من ثروات طبيعية. و من جهة أخرى، فهذا البديل الاقتصادي و ما صاحبه من ثورة تقنية رهيبة، قد أطاح بعقلية الغرب الضيقة، و قوض أسباب التمركز الأوروبي، لكن من دون أن يقوم باجتثاث جذور الاستشراق التقليدي الراسخ في الذهنية الأوربية. من ذلك مثلا النظرة الدونية للآخر، و تصور الغربيين لأنفسهم على أنهم أصحاب حقوق على الإنسانية، و أن الآخر في حاجة إليهم، لأنه لا يستطيع تحديد طريقة بنفسه، و من ثمة على الغرب أن يملي عليه نظرته سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو غيرها[30].(Chemseddine Chitour, l'occident à la conquete du monde, p. 256) .

---

26 ـ عبد الامير الأعسم دراسات في الاستشراق مرجع سابق ص 77.

27 ـ محمد أركون و آخرون، الإستشراق بين دعاته ومعارضيه مرجع سابق، ص 92.

28 ـ صلاح الجابري، تفكيك الاستشراق، مرجع سابق، ص 91.

29-Chemseddine Chitour: l'occident à la conquete du monde, p. 435.

30-Voir : Chemseddine Chitour, l'occident à la conquete du monde, p. 256.

ففي الوقت الذي يشهد العالم درجة كبيرة من التشابك و العلائقية في مصالحه المختلفة، نجد "أن المجتمع الغربي ما زال متمسكا بشيء من صوره النمطية عن الشرق، على أن وجوده (فولكلور) لحداثة الغرب و تطوره"[31].(نديم نجدي: جدل الإستشراق و العولمة ، 2002، ص 264).

5. بين الإستشراق التقليدي و الإستشراق المعاصر:

خلافا للاستشراق التقليدي يمكننا أن نرصد في الاستشراق المعاصر المنحى باتجاه جعل الشرق على وفاق مع ثقافة الغرب من خلال فرض الأنموذج الغربي في كل شيء، أو ما يعرف بالعولمة[32] . (نديم نجدي: جدل الإستشراق و العولمة ، ص 128- 129) . و التي أحسبها وجها آخر للاستشراق المعاصر، خاصة بعد أن أصبحت من منظور الكثير من فقهاء السياسة و الاقتصاد مرادفة للنمو. و النمو يتطلب رأس المال، و رأس المال يتطلب العوائد المرتفعة بأقل إنفاق و مخاطرة، منجذبا أكثر فأكثر إلى الأماكن البور التي يمكنها أن توفر ذلك، و هو ما يعني توجه الغرب الصناعي إلى ابتلاع المناطق غير المصنعة، و التي تحوي كم هائل من مصادر حياته و بقائه .و بالتالي فرض هيمنته و سيطرته، و أنموذجه الغربي. و لعل الإفرازات السياسية و الاقتصادية و النفسية التي انعكست على المجتمعات العربية و الإسلامية اليوم، هي خير مثال على ذلك فهي حسب رأيي من أسوأ الهزائم التي منيت بها الأمة العربية و الإسلامية عبر تاريخها، لأنها من جهة قد نجحت في تقسيم العرب إلى مؤيد لهذا النموذج الغربي أو الأمركة، ومعارض فاشل و مستلسم لفشله، لا يعرف ماذا سيفعل و من جهة أخرى جردت العرب من فضائهم المالي النفطي، و ألقت بهم على حافة الفقر، و الصراع من أجل المعيش[33].(خالد محي الدين البرادعي: حركة الإبداع و التغيرات الكبرى في العالم ، مجلة بونة للبحوث و الدراسات، ص ص 80-81).

وكل هذا انعكس على النخب الفكرية و المبدعة، فانكفأت هي الأخرى على نفسها، و بات لا يسمع لها قولا، إلا من أذن له الغرب، وقال قولا لا يخرج عما يريده هذا الغرب.

ولهذا فلا ينتزع الواحد منا الاعتراف به كمفكر أو مبدع إلا إذا جاء به من الغرب، و لا ينال شرف الإنسان العصري إلا إذا تشبع بقيم الغرب، و أصبح يستهلك ما يستهلكون و يشتري ما تطرحه معاملهم التكنولوجية، و تشده نفس إشهاراتهم البراقة[34]. (نديم نجدي: جدل الاستشراق و العولمة ، ص ص 293). أي أنه يصبح أنموذج الإنسان العالمي الذي لا يحكمه انتماء إلى جنس أو لون أو قومية، و إذا حدث هذا فمعنى ذلك أن الغرب قد ضمن لنفسه الرهان، و حقق بأسلوبه هذا ما كان هدفه منذ البداية في الاستشراق التقليدي. و انطلاقا من هذا يمكننا القول بأن، مرامي الاستشراق التقليدي كلها قد تحققت في نظام العولمة الجديد.

ولعل من المسلم به لدى الكثير من الباحثين "أن الاستشراق المعاصر ليس إلا وظيفة سياسية و اقتصادية يقوم بها المستشرقون لصالح مؤسسات حكومية أو شركات تجارية.."[35]. (محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق، أهدافه ووسائله ، ص 102).

و لذلك كما نرى اليوم تفوق الاستشراق الأمريكي على الاستشراق الأوروبي بحكم سياسة الهيمنة التي تمارسها أمريكا على شعوب العالم بأسره و العالم العربي الإسلامي في مقدمته. و انطلاقا من هذه النقطة يبدو الحديث عن الاستشراق في تمظهراته العلمية أمرا مستحيلا في الدراسات الاستشراقية المعاصرة. لأنه يمكننا الاستدلال على ذلك بالدراسات المتعلقة بالإسلام و التي تقدمه في صورة ترهيبية، فهو مصدر الإرهاب و العنف و الشرور، و بالتالي فالمسلم كثيرا ما يقابل الإرهابي، من هنا ابتكر الغرب مصطلح "الإسلاموفوبيا islamophobie" لترويع شعوبه، وغرس الكراهية في نفوسهم إزاء كل ما هو

---

31 ـ نديم نجدي: جدل الاستشراق و العولمة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 264.

32 ـ نديم نجدي: جدل الاستشراق و العولمة مرجع سابق ص 128- 129

33 ـ انظر: خالد محي الدين البرادعي: حركة الإبداع و التغيرات الكبرى في العالم، مجلة بونة للبحوث و الدراسات، مرجع سابق، ص ص 80-81.

34 ـ انظر: نديم نجدي: جدل الاستشراق و العولمة، مرجع سابق، ص ص 293.

35 ـ محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق، أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص 102.

إسلامي. و في هذا الإطار يقول ادوارد سعيد:"لقد غدا الإسلام اليوم بالنسبة إلى الجمهور العام في أمريكا و أوربا أخبارا بغيضة بشكل خاص . وتنضوي وسائل الإعلام الحكومية و الاستراتيجيون الجغرافيون و الخبراء الأكاديميون المختصون في الإسلام – و إن يكن هؤلاء هامشيين بالنسبة لمجمل الثقافة – في جوقة متناغمة واحدة: الإسلام تهديد للحضارة الغربية"[36].(إدوارد سعيد: تغطية الإسلام ، ترجمة سميرة خوري ، ص 159).

وهذه الصورة هي التي أنتجت فكرة "صدام الحضارات" عند "صموئيل هنتغنتون"[37].

(صموئيل هنتغنتون: أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية والذي ينشر في المجلة الرسمية: مجلة الشؤون الخارجية).

و من نحا نحوه. وفكرة نهاية التاريخ عند "فرانسيس فوكوياما"[38](فرانسيس فوكوياما: أستاذ الاقتصاد الذي يشغل منصب مدير التخطيط في الخارجية الأمريكية).

و"جون أولين" مدير مركز الدراسات الاستراتيجية و صاحب نظرية "الحدود الدموية للإسلام"، و "مايكوالترز" أستاذ الفكر اليساري و صاحب مقولة "الحرب العادلة"؛ و هذه الأسماء و غيرها هي التي تمثل تيار الاستشراق الجديد، و جميعهم ينتمي إلى مراكز بحثية استراتيجية تابعة في الغالب للإدارة الأمريكية، إلا أن الملاحظة هنا أن، أغلبهم و إن تباينت مراكزهم البحثية، فهم في النهاية يتمثلون الاستشراق المعاصر، المكرس للهيمنة الأمريكية[39].(مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، دراسة في مراكز الأبحاث الغربية ، 2007 ص 81) .

إن الغرب الأمريكي اليوم و هو مسنود بهذه النخبة الفكرية فضلا عن النخبة الليكودية من المحافظين الجدد، يسعى إلى خلق عدو وهمي له هو الشرق أو العالم العربي الإسلامي، في إشارة إلى التمايز الكبير الموجود بينهما، و الذي يحول دون إمكانية تحاورهما و تعايشهما. و كأن مشكلة المسلمين في دينهم وليس في شيء آخر، و لتعود بالتالي المقولة القديمة التي أطلقها الشاعر الإنجليزي (kipling):"الشرق شرق و الغرب غرب و لن يلتقيا" إلى الواجهة من جديد.

وقد يكون من المهم هنا أن ندرك أن الدوائر الاستشراقية في الغرب و خاصة في أمريكا قد غيرت الكثير من اهتماماتها من دون أهدافها، و ذلك بتركيزها "على الواقع السياسي و الديني و الاقتصادي و الاجتماعي للشعوب العربية، و هو ما يفسر معه كيف تغيرت اهتمامات المستشرقين التقليدية من مجالات القرآن و الأحاديث و العقيدة و الفقه و السيرة النبوية و الفرق الإسلامية... إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية لهذه المجتمعات العربية الإسلامية"[40]، (مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، دراسة في مراكز الأبحاث الغربية ، ص 81).

و قد تحول المستشرق مع بروز هذه الاهتمامات إلى خبير، يلحق في الغالب بالدوائر السياسية الأمريكية. و عندما نحلل مرجعية هذا التيار الجديد من الخبراء أو المستشرقين الجدد، نجد أنه بدأ في الظهور شيئا فشيئا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، و وصل إلى أقصاه في التسعينات من القرن الماضي أو العشرين، حيث تركز عملهم حول جعل الإسلام في مواجهة الغرب بديلا عن الاتحاد السوفياتي، الذي تهاوى مع سقوط جدار برلين[41].(مصطفى عبد الغني المستشرقون الجدد ، ص 93).

وهنا ازدادت غطرسة الإمبراطورية الأمريكية، فرفعت شعارات الكرامة الإنسانية المتساوية، و الحقائق الأخلاقية العالمية، و الطرق الفردية و الجماعية التي تؤدي إلى الانفتاح و قيمة حرية الضمير الفردي و حرية الدين و غيرها للدلالة على أنها الراعي الأول لحقوق الإنسان، و المدافع الأوحد عن حضارته السامية، و التي هي أصلا الحضارة الأمريكية، بقيمها

36 ـ إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة سميرة خوري، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ص 159.

37 ـ صموئيل هنتغنتون: أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية والذي ينشر في المجلة الرسمية: مجلة الشؤون الخارجية.

38 ـ فرانسيس فوكوياما: أستاذ الاقتصاد الذي يشغل منصب مدير التخطيط في الخارجية الأمريكية.

39 ـ انظر: مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، دراسة في مراكز الأبحاث الغربية، الدار المصرية للبنانية، القاهرة، 2007 ص 81 .

40 ـ انظر: مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، دراسة في مراكز الأبحاث الغربية، مرجع سابق ، ص 81.

41 ـ مصطفى عبد الغني المستشرقون الجدد مرجع سابق ص 93.

الفاضلة التي تتيح لأي فرد أن يكون أمريكيا[42]. (مصطفى عبد الغني المستشرقون الجدد ، ص 96). وباسم هذه القيم تتحول الحرب التي تخوضها أمريكا ضد الإسلام المتطرف" إلى "حرب عادلة A just war". و يجدون ما يبرر لها في الأخلاق و الدين لكن من منظورهم هم. بل و أكثر من ذلك أن هذه "الحرب العادلة لا تخاض إلا من قبل سلطة شرعية تتحمل مسؤولية النظام العالمي"[43]. (مصطفى عبد الغني المستشرقون الجدد ، ص 99) و بطبيعة الحال فالسلطة الشرعية هنا هي السلطة الأمريكية التي يحق لها أن تبيد شعوبا بأكملها، و تمتص خيراتها كيفما شاءت لا لشيء إلا من أجل إقرار نظامها العالمي الجدي الذي تزعمه. ولنا أن نذكر هنا ما صرح به الرئيسي الأمريكي (جورج بوش) بعد انتهاء الحرب العراقية بساعات قليلة: إنه بدأ الآن النظام العالمي الجديد. وقد وجد هذا التوجه بعد ذلك في هجومات الحادي عشر من سبتمبر 2001، ما يبرر أكثر ضرورة العسكرة و القوة العادلة من أجل فرض الأمركة.

لكن السؤال الذي ينبغي طرحه: لماذا بالتحديد الإسلام ؟ ولماذا العالم الإسلامي هو المستهدف؟

رغم أننا ذكرنا سابقا أحد المبررات و هو سقوط المنظومة الشيوعية و اقتصادها الموجه، كعدو "متطرف"؛ إلا أن هناك مبررات أخرى يرتبط بعضها بالتاريخ و فترة الصراعات الدينية القديمة بين المسلمين و المسيحيين. كما يرتبط بعضها بالجغرافيا و الاقتصاد، إذ أن موقع العالم الإسلامي يتوسط العالم و فيه من شروط الحياة الصناعية ما يقوي الأطماع، فضلا عن الصورة النمطية التي كونها الاستشراق التقليدي عن الإسلام ، و عدم قابليته للحوار و التعايش مع غيره، وأنه إن تمكن ابتلع.

وهذه العوامل في اعتقادي كفيلة بجعل العالم الإسلامي هو العدو الأول للغرب، و هو المستهدف في حربه العادلة. و هكذا كما يقول (هشام جعيط):"الأنتلجنسيا الغربية تقع في التمركز الغربي من جديد، ففي الوقت الذي تظن أنها تضع ذلك موضع الشك، إنها تطرح نفسها الوحيدة القادرة على تحديد القيم العالمية، وبذلك فهي ترجع إلى المركزية الأوربية اللاواعية أكثر منها واعية"[44]،(هشام جعيط: أوروبا و الإسلام- صدام الثقافة و الحداثة ، ص 17).

مما يعني أن ما رسمه الاستشراق التقليدي هو حاضر باستمرار في الاستشراق الجديد، وبهذا يمضي الغرب في استشراق الشرق، مع تغيير في مركز الاهتمام فقط، لأن الهدف يبقى ثابتا، إذ عندما نقرأ اليوم "صدام الحضارات" أو "الإسلام المسلح ينال من الولايات المتحدة" أو غيرهما لا نلمس إلا وجود استمرارية لجيل المستشرقين الأوائل الذين مهدوا بطريقة أو بأخرى لهذه المرحلة الاستشراقية الجديدة .

42 ـ المرجع نفسه ص 96.

43 ـ المرجع نفسه ص 99.

44 ـ هشام جعيط: أوروبا و الإسلام- صدام الثقافة و الحداثة، مرجع سابق، ص 17.

6. خاتمة:

ما من شك في أن ثقافتنا العربية الإسلامية المعاصرة باتت في حاجة أكيدة لقراءة نقدية ترصد و تعاين جذور ما بداخل الثقافة الغربية، و خاصة إذا كان الأمر يتعلق بجيوب تلامس مباشرة قضايا تخص العرب و الإسلام، و نقصد بها هنا الدراسات الاستشراقية فلفظ الاستشراق حتى ستينيات و سبعينيات القرن الماضي كان مثار توجس وعدم اكتراث للجهل بمعناه. بحيث بقي هذا المفهوم عصيا على الإدراك عند الكثيرين، بل و ربما محصورا فقط عند القلائل الذين درسوا في الجامعات الغربية، و مكمن المشكلة أننا لم نطور منهجيات لكيفية الاشتغال على الفكر الغربي بل و حتى تراثنا الإسلامي، أي أن مشكلتنا بالأساس منهجية في جوهرها، فنحن نقرأ الاستشراق من منظور المستشرقين أنفسهم، و نستخدم نفس آلياتهم، و لعل هذا ما جعلنا نتأثر بما يقولونه عنا، و تفاديا للسقوط في شباكهم الإيديولوجي، اقتضى الأمر أن نغير زاوية النظر إلى الخطاب الاستشراقي، و ذلك بالتنقيب في ركام نصوصه و تفكيك آليات تشكله بغية استجلاء خلفيته الفلسفية و الفكرية، و تجاوز بالتالي المراكمات التاريخية. للخروج من تلك العلاقة المرسومة في عملية تأويل الشرق و معرفته والقفز على علاقة العنف التي تحكم معرفة الغرب للشرق .